

كلمة في افتتاح

اللقاء المشترك للمؤتمر القومي العربي والمؤتمر

القومي الإسلامي

منذ لحظة وقوع الجريمة المروعة التي نُفذت في نيويورك وواشنطن، أعربنا عن استنكارنا الشديد لها، وقلنا إن مثل هذا العمل البشع لا يقبل به عقل أو ضمير. إلا أننا قلنا أيضاً إن جريمة بهذا الحجم تتطلب تنفيذها من الدقة والدراية والتخطيط ما لا يتوافر إلا لجهازٍ متطورٍ وراءه دولة. وهذا يتعدى في اعتقادنا قدرة أيّ جهةٍ عربيةٍ أو إسلامية. وهذا العمل المنكر يتعارض أساساً مع القيم التي تقوم عليها مجتمعاتنا.

ثم إذا كان وراء كلِّ جريمةٍ من يستفيد منها، فالمُستفيد من هذه الجريمة النكراء لا يمكن أن يكون عربياً. فنحن العرب أول المتضررين منها والمفجوعين بها. فقد ارتدّت بعواقبها وتداعياتها على العرب ضيماً وشوْماً. فهي تُستغل من الصهيونية العالمية، ومن ورائها إسرائيل، في التحريض على الانتفاضة الفلسطينية وفي الإجهاز تالياً على القضية العربية. وقد أطلقت هذه الجريمة دفقاً من المضايقة للعرب المُقيمين في الولايات المتحدة الأميركية وبعض الدول الغربية الأخرى، فإذا بهم يعانون شتى ألوان التنكيل والتمييز والنبد والتهديد، ممّا اضطرَّ الرئيس الأميركي وبعض أعوانه إلى النهي عن هذه الممارسات الذميمة. وفي ديننا لا تزر وازرةٍ وزرٍ أخرى، هذا إذا ثُبِت من

التحقيقات الجارية أن المرتكب هو من قومنا أو منطقتنا . وهذا ما لم يثبت بعد على نحو قاطع .

الإدارة الأميركية تدعو دول العالم وشعوبه إلى اتخاذ موقفين : موقف التضامن مع الشعب الأميركي في محنته، وموقف التحالف مع الولايات المتحدة الأميركية في الحرب الشاملة التي أعلنتها على الإرهاب في شتى أرجاء الدنيا . إنَّ الدول العربية جميعها، وكذلك الشعوب العربية، أعلنت استنكارها للجريمة النكراء وتضامنها الكامل مع الشعب الأميركي في محنته . هكذا لبَّى العرب نداء التضامن .

أما التحالف مع أميركا في حربها على الإرهاب فدونه انعدام التوافق دولياً على مفهوم واحد للإرهاب . والمعروف أن الإدارة الأميركية كثيراً ما كانت، وما برحت، تنعت بالإرهاب حركات المقاومة لاحتلال إسرائيل لأراضي عربية . ففيما نحن نرى في المقاومين أبطالاً يناضلون في سبيل الحرية، ترى الإدارة الأميركية في هؤلاء إرهابيين يحترفون العنف . إننا نهيب بالإدارة الأميركية وقبل دعوة العرب إلى التحالف معها في الحرب التي أعلنتها وأن تسعى إلى التوصل إلى تعريف موضوعي وعادل للإرهاب الذي تجب مكافحته . وليكن ذلك من خلال الأمم المتحدة، حيث تتفاعل المواقف والرؤى والمفاهيم، فيكون لمفهوم الإرهاب الذي يعتمد شرعية دولية . أما انفراد الولايات المتحدة بتعريف الإرهاب، فليس من الديمقراطية في شيء، وهي التي ترفع شعارات الحرية والديمقراطية في العالم .

وفي منطق الشرعية الدولية نساءل: لماذا تكون الحملة ضد الإرهاب تحت الجناح الأميركي ولا تكون تحت جناح الأمم المتحدة التي تعبّر قراراتها عن إرادة الشرعية الدولية الواحدة، فلا يكون ثمة ذريعة لأحد للخروج على هذه الشرعية .

ثم أليس الإرهاب الدولي نقيضاً للشرعية الدولية؟ فلماذا إذن لا يحارب الإرهاب الدولي بسلاح الشرعية الدولية؟

إن أيّ مفهوم موضوعي وعادل للإرهاب لا بد أن يصنّف إسرائيل دولة إرهابية بامتياز، وهي في إرهابها لا تبارى. هي التي اقتلعت شعب فلسطين بالبطش والعنف والمجازر من دياره في عام ١٩٤٨، وهي التي احتلت أرض لبنان طوال أكثر من عشرين سنة، ضاربةً عرض الحائط بقرار دولي قضى بخروجها الفوري وغير المشروط. وتخلّلت فترة الاحتلال هذه حرب شاملة شنتها على لبنان في عام ١٩٨٢ ومارست خلالها أبشع ألوان الإرهاب في محاصرة عاصمة الكرامة بيروت، وفي تنفيذ مجزرة صبرا وشاتيلا، وفي تشريد مجموعات كبيرة من الشعب اللبناني في سائر المناطق، وفي تدمير الأحياء السكنية وتبديد الأرزاق. وتخلّلت فترة الاحتلال أيضاً اعتداءات شبه يومية على أرض لبنان وشعبه وبنائه الأساسية، بلغت ذروتها في مجزرة قانا. وإسرائيل اليوم تمعن بالشعب الفلسطيني قتلاً وتشريداً وتنكيلاً.

فهل يكون المقاوم اللبناني للاحتلال إرهابياً ويكون الغازي الإسرائيلي حضارياً؟ هل يكون المجاهد الفلسطيني إرهابياً ويكون غاصب أرضه وحقوقه وحرية مسالماً؟ هل يكون أصحاب الأرض المغتصبة والحقوق السلبية إرهابيين ويكون غاصب الأرض والحقوق شريك أميركا في حربها على الإرهاب؟

إذا دعي العرب للانضمام إلى التحالف مع أميركا في حربها المعلنة على الإرهاب، يجب أن يكون ردهم في أربعة:

- أولاً، تعالوا إلى كلمة سواء نحدد فيها مفهوم الإرهاب.
- ثانياً، تعالوا ندين الإرهاب بكل أشكاله، وبخاصة الجريمة النكراء المنفذة في نيويورك وواشنطن، مهيبين بالمجتمع الدولي أن يدين معنا الإرهاب الإسرائيلي الغاشم.
- ثالثاً، تعالوا نطلق حملة واسعة لمكافحة الإرهاب تحت مظلة الأمم المتحدة لنضفي عليها وجه الشرعية الدولية، فيكون القرار شوري وليس انفراداً.
- رابعاً، تعالوا ننقذ الحملة ضد الإرهاب بوعي وتعقل، محاذرين الانزلاق إلى مستوى ممارسة الإرهاب المضاد بتعريض الآمنين الأبرياء.

ختاماً نتساءل: ألا تستحق التطوّرات التي حصلت وتداعياتها على الأمة العربية عقد اجتماع قمة عربية لتوحيد الموقف منها.

ثم إن واجب العرفان يقتضينا التنويه بمواقف جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وسوريا وإيران، تلك المواقف التي كان من شأنها فرض شيء من التوازن على المواقف الدولية حَفِظَ حتى الآن المصلحة العربية.

البريستول في ٢/١٠/٢٠٠١